مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies)
جامعة وهران02/ المجلد 11 ع 02 / 16 /04/ 2022
ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

الذَّات العربية ولحظة الوعي الفلسفي عند ناصيف نصار

The Arab self and the moment of philosophical awareness of Nassif Nassar

أحمد بامو * Ahmed Bammou ahmedbammou31@gmail.com	فلسفة	الجماليات والفنون والفلسفة المعاصرة / العلوم الإنسانية/ جامعة أبو القاسم سعد الله / الجزائر2
أد. عمر بوساحة Boussah Omar Boussaha58@yahoo.fr	فلسفة	الجماليات والفنون والفلسفة المعاصرة / العلوم الإنسانية/ جامعة أبو القاسم سعد الله / الجزائر2

DOI : 10.46315/ 1714-011-002-007

الإرسال: 06/ 01/ 2021 القبول: 16/ 04/ 2021 النشر: 2022/04/16

ملخص :يقتضي النهوض بالذات العربية درجة عالية من الوعي، في سبيل تجاوز الواقع المأزوم، حيث يتشكل من خلال الحضور الفاعل لإعمال الفكر والعقل، ليتحقق فينا معنى الوعي بمشكلاتنا، التي تعيق حركة الإبداع والنهوض الفلسفي، ورسم معلم الاستقلال الفلسفي، والتطلع إلى فتح أفق فكرية جديدة تجعلنا في مستوى المنافسة الحقيقية للأخر، وما يقدمه من ناتج فكري لخدمة الإنسانية والمعرفة، إن الذات العربية تمتلك القدرة لذلك، كلما توفرت الإرادة واتسع فضاء الحرية فإن ذلك ممكن التحقق، إذ لا سبيل إلى النهوض والإبداع الفلسفي العربي ما لم تمتلك الذات العربية وعيها بذاتها.

كلمات مفتاحية: الذات؛ النهضة؛ الإبداع؛ الحضور؛ الوعي.

Abstract: In order to overcome the deplorable condition state, the Arab self-development requires a high degree of awareness. The latter, is essentially formed through the active reflection of mind and reason. By doing so, we would realize the meaning of awareness of our problems that hinder the movement of creativity, and the philosophical advancement. We would also draw a milestone of philosophical independence, aspire to open a new intellectual horizon that makes us in the level of real competition with the other and what it produces as knowledge. That is achievable if the Arab individual possesses the will and broader freedom. Therefore, the Arab development and philosophical creativity can only be attained by self- awareness.

Key words: Self, Development, Creativity, Active reflection, Awareness.

*- الباحث المُرسل: ahmedbammou31@gmail.com

مقدمة:

يعد مطلب النهوض بالواقع الفلسفي العربي من مشكلات الثقافة العربية المعاصرة، التي شغلت كثيرا من المفكرين المعاصرين، وذلك من خلال ما يعانيه الفكر الفلسفي من جدوى الفاعلية في تحقيق معالجة المشاكل الاجتماعية والسياسية والفكرية والقراءة الصحيحة لواقعه المتأزم، من جراء الأزمات التي يتعرض لها من خلال القمع الممارس من جهات تزعم الوصاية على الفكر العربي وفق إيديولوجية دغمائية لا تتجاوز الشرح والتفسير للقضايا في غياب تام لروح الإبداع والتجديد، أو دعم لتلك المبادرات التي تسعى إلى ذلك.

يحمل ناصيف نصار في هذا الصدد رؤية فلسفية عربية ونقدية، يمكن من خلالها أن تساهم في تجاوز العوائق الإيديولوجية التي تقف في طريق الإبداع الفلسفي، عن طريق نقد ودراسة الذات العربية، ووعيها بمتطلبات الواقع الفكري الراهن وفي محاولة نتجه نحو الكشف عن هويتنا الفلسفية العربية المعاصرة، وسط مجموعة من التقاطعات الكبرى والاتجاهات النقدية التي تحاول رسم معالم الطريق، للمشاركة في صناعة فضاء فلسفي ينطلق من ذاتنا، ويعبر عن رغباتنا وطموحنا في سلّم الفكر الوجودي والإنساني المتنوع والمتعدد.

يدرك ناصيف نصّار أن لا سبيل لذلك إلا عن طريق إبداع مسار مفاهيمي، يحدد انتمائنا، لدواتنا ويعيد تفكيك أنماط التفكير السائد في مجتمعاتنا العربية، على أسس عقلانية، بغية سلب الغياب وإيجاد الحضور الايجابي، من أجل التفاعل مع الذوات الإنسانية، في حركة الإبداع والتفكير، باعتبار أن العقل والحرية هما الأداتان الأساسيتان لفعل الحضور من هنا نتساءل **ما الذي يمكن أن تحققه الذات العربية لحظة الوعي الفلسفي؟ وهل يمكن فتح أفق جديد للإبداع الفلسفي العربي في ظل الحرية؟** من خلال هذه الإشكاليات نحاول اعتمادنا على مصادر فلسفة ناصيف نصار تحليل بنية الذات العربية، مع إبراز أهمية الوعي الفلسفي في صناعة الفكر العربي النهضوي والعقلاني، وذلك عن طريق المنهج التحليلي النقدي الذي نحاول اعتمده في هذه الدراسة.

الذات العربية وفعل الحضور:

يشكل الحضور معنى الفعل والحركة، وهو يعني بذلك الجهود الفكرية والإبداعية، التي يقدمها المفكر أو الفيلسوف العربي، في سبيل النهوض بالأمة العربية، بمعنى أنه ترجمة للحضور الفعال والايجابي، يشير محمد المصباحي في تحليله لمفهوم الحضور عند ناصيف نصار " والحضور وان كان مشتقا من أحد أقسام الزمن، فإنه ليس مجرد واقعة أو علاقة زمنية، بل هو كما مر بنا فعل أو تحقق واقعي، فأن نقول إن الإنسان كائن حاضر معناه أنه كائن فاعل أو إنه ما يتحقق فينا وبنا

بالفعل أي بوصفنا كائنات فاعلة" (بلقزيز، ع، وأخ؛، 2009، 113) معنى ذلك أننا نفتقر إلى الحضور الايجابي، والفعال في العالم، كذات مفكرة أو صانعة للفكر، أو ذات تفتقر إلى كيان مستقل تبُدع من خلاله أفكارها ونظرياتها.

وهو ما يقره ناصيف نصّار حين يقول: "الحضور فعل ومن دونه لا سبيل للكائن الذاتي إلى المعرفة، ولا إلى العمل، فمن حيث هو فعل شارط يكون الكائن الذاتي بموجبه مستعد للمعرفة وللعمل، لابد له من أن يكون إما مكتفيا بذاته وإما غير مكتف بذاته، والحال أن الكائن الذاتي لا يعيش حضورا مكتفيا بذاته، لأنه كائن زمني طالب" (ناصيف؛ ن 2008، 89)يعّرف نصار الحضور بالفعل، ولا شيء غير الفعل، وإذ هو كذلك فهو سبيل نحو المعرفة والعمل، يكون على نحو خاص إذا كان لبناء الذات من الداخل، أو على نحو عام ومشترك بين الذوات الإنسانية، فهو فعل تشاركي يحدد قيمة التعامل الفعال، الذي يظهر الصور التي تنعكس فيها الذات انعكاسا حقيقيا مبرز ذلك ناصيف نصار من خلال صورها الثلاثة " إن الحضور الذي يقوم الكائن الذاتي به ليس حضورا كاملا كمال مطلقا، سواء أكان حضورا إلى الواقع أم إلى الأخر أم إلى الذات نفسها" (ناصيف؛ ن 2008، 89) مهم يكن فإن فعل الحضور لن يكون حضورا مطلقا بالنسبة إلى الكائن الذاتي، فهو أمر نسبي مجزئ بين الواقع والأخر والذات، على حسب درجة العلاقة القائمة بين أحد الأعمدة الثلاثة لمظاهر الحضور، وهو ما يوضح محمد المصباحي أيضا "هناك الحضور وهناك الحاضر وحضور الذات الذي هو حضور إلى، وحضور الواقع الذي هو حضور بالنسبة إلى، أو حضور عند وحضور الذات إلى ذاتها وحضورها إلى غيرها" (بلقزيز، ع، وأخ؛، 2009، 112) تكشف لنا هذه المستويات عن الأبعاد الحقيقة للذات كمركز بالنسبة للواقع وللأخر بمعنى هل بإمكان الذات العربية أن تعيش خارج الواقع الراهن أم أنها قادرة على صناعة واقع حسب رغباتها واستقلاليتها؟.

إن واقع الحال لا يعطي إشارة على ذلك لان مظهر الغياب فينا حاصل من ناحية الفاعلية أو الفعل لان الحضور متلازما مع الفعل أو الفاعلية، فأما حضورنا بالنسبة للأخر فهو على وجه التابع أو المقلد، فلا يمكن أن نتقابل معه على وجه الفعل والحضور، إلا من خلال النظر إليه على أنه مثال أو قدوة، ونحن في درجة اقل من ذلك غير أن ناصيف نصار، يراهن على حضور أخر وهو حضور الذات لذاتها، وهو حضور يقرنه نصار بالوعي، وهو الذي يشكل المنعطف الحقيقي للذات، حين تبصر نفسها في مرآة ذاتها الحقيقية، حينها يمكن النظر إلى الحياة من زاوية أكثر انفتاح، وأكثر عقلانية لبناء حركية فلسفية وفكرية إبداعية، وذلك عندما يقول ناصيف نصار"

أن الحضور لا يعدو كونه منطلقا محايثا لكل أفعال الإنسان ووظيفته، أن يكون مدخل الإنسان إلى إنسانيته، فهو من هذه الجهة لا يخضع لعلاقة القبل والبعد في وجود الإنسان الزمني، غير أنه ليس منفصلا عنها لان أفعال الإنسان تقع في الزمن ومن الطبيعي أن يكون لعلاقة القبل والعبد دور أساسي في صناعتها، وعليه فان الحضور جزء لا يتجزأ ليس فقط من كيان الإنسان، بل من تاريخيه أيضا" (ناصيف؛ن 2008، 90) يعني ذلك أن فلسفة الحضور عند ناصيف نصار هي فلسفة مرافقة للإنسان، وملازمة لا فعاله، بل ويعتبرها نصار مدخل إلى إنسانية الإنسان، هذا يوحي بأن الإنسانية هي الحضور في قيم الإنسان ومبادئه، يستحضر من خلالها القيم العليا في تاريخيه ومضيه ولكن دون التمركز فيه، بل من أجل استحضاره والمضي نحو المستقبل، وهو الأمر الذي دع إليه العروي أن: " أبرز علامات تأخرنا هو تخلف الوعي عن الواقع، والثورة الفعلية في جوهرها هي رفع الوعي إلى مستوى الوقع لان في ذلك فهما لذوات الأفراد، وإجابة عن مشاكل المجتمع وتحقيقا لمرامي الأمة في ذلك أيضا انبعاث الإنسان العربي، أي الاعتراف بانفصاله نهائيا عن إنسان العصور الوسطى" (أفاية، م، ن 2014، 157)

أن فهم الذات العربية والوعي بمتطلباتها، هو نوع من الحضور الذاتي الذي ينقلنا إلى مستوى فهم الواقع ومحاولة الإجابة عن مشاكله، بل ويحقق فينا نقلة من الماض نحو المستقبل، وهو أيضا نوع من الممارسة النقدية العامة حول المفاهيم التي تعترض سبيل النهضة والإبداع العربي، وهو ما يضعنا أمامه عبد الله العروي "فإن أمرنا لن يصلح إلا بإصلاح مفكرينا باختيارهم اختيارا لا رجعة فيه المستقبل عوضا عن الماض والواقع عوضا عن الوهم، وجعلهم التأليف أداة نقد وانتقاد لا أداة إغراء وتنويم، وإذا قلنا أن أوضاع الحكم أو أوضاع الحرب لا تساعد على ذلك فأقول أن أوضاعنا ستكون دائما غير ملائمة، لأنها لو عادت ملائمة لما احتجنا إلى ثورة التخلف الفكري " (أفاية، م، ن 2014، 157) إنه من الضروري وعي المفكر العربي بأهمية الدراسة النقدية، على مستوى الإنتاج الفلسفي العربي، والقدرة على تشخيص الواقع ضرورة لا محيد عنها، لطرد هذا الجمود الفكري والوهم، عن العقل العربي، فالراهن العربي هو جملة مآسي وحرمان وهي ما يعطي للمفكر شحنة الإصرار على التغير، وتحدي يجدد من خلاله أفكار الشعوب العربية فالظروف لم تكن يوما عائق أمام حركة النهوض والإبداع.

إن الهمم تولد من رحم الأزمات دائما، لان العقل البشري في فيض مستمر، أما عائق السلطة أو الحكم أمام محاولة النخبة المثقفة، فهي دائما ما تقابل بالتهميش، وربما يصل الأمر إلى حد التهجير والقمع لدعاة التغير والتجديد.

عوامل نهوض الذات العربية:

يتطلب الأمر عند ناصيف نصار من أجل النهوض وأحياء الذات العربية اتحاد جملة من العناصر، تزود الذات العربية بمجموعة من المقومات، تكون بمثابة الشحنة الايجابية لتحقيق الصيرورة في خلق فضاء إبداعي ومفاهيمي خلاق يتشكل داخل البيئة العربية، يمتلك القدرة على المنافسة والحوار مع الأخر.

1-الذات والإرادة :

من أجل صناعة الذات العربية صناعة حقيقة كذات مفكرة، ومنفعلة وسط العديد من الذوات الإنسانية تحتاج الذات العربية إلى نوع من الحافز أو الدافعية من أجل الاستمرار والتواصل في عملية النشاط والإبداع الفكري، وهنا يجب أن نطرح سؤال مهم: **ما الذي يمكن أن تحققه الذات العربية في غياب الإرادة ؟ وما هي الانجازات الممكن تحققها إذا وجدت الإرادة؟.**

يقول ناصيف نصار "تقوم الذات بوظيفتين :وظيفة المصنوع ووظيفة الصانع، فمن حيث هي صناعة لابد من تحويل وعيها بذاتها إلى تفكير في ذاتها حتى ترتفع من مستوى العفوية الجارية إلى مستوى الرؤية التي تقتضيها الصناعة الحقة، إلا أنها لن تكون منتجة إلا إذا تحركت فيها الإرادة، فالإرادة من مقومات الذات الماهوية" (ناصيف؛ن 2008، 132) إذن فالعامل الرئيس لقيام الذات بنشاطاتها الحية والواعية هي وجود الإرادة، كدافع معنوي نحو إنتاج مختلف المعارف والقيم التي تساهم في خلق فضاء مبدع وخلاق ويرى الأستاذ ماجد موريس إبراهيم " أن الذات القادرة على الفهم والإدراك والتعلم والحدس والتفكير واللغة والحركة هي الذات التلقائية المتحررة، من أسر الصراعات، وهي الذات في أنقى صورها وهي تشكل الحالة التي يمكن التعبير عنها باعتبارها إحساسا أمنا ومتكامل بالنفس تقابله في حالة فقدان القدرات السابقة حالة الإحساس المشوب بالخوف والتمزق والتبعثر " (ماجد، م، إ' 1999، 26) إن قدرت الذات العربية على امتلاك هذه الملكات، واستعمالها في مجالات مختلفة كفيلة بتحقيق رؤية فكرية وفلسفية جديدة، تساعدنا في الخروج من حالة التأزم والشتات، التي تعانيها الذات العربية هي أيضا نتيجة حتمية لفقدان المبادرة والعزيمة، ولعل نصار يدرك جيد أهمية العزيمة في صناعة الذات وحيويتها مؤكد ذلك " أن العزيمة تمنح الذات مناعة ضد أخطار التبعثر والميعان، إنها شرط لصلابة الذات، وليس لتصلبها، أنها علامة الإرادة الشاعرة بقدرتها على التصويب نحو موضوعات قريبة أو بعيدة عادية أو سامية، والمستعدة في الوقت نفسه للقدر اللازم من المرونة والصبر للمجهود المتجرد لبلوغ تلك الموضوعات، إنها ضمانة لثقة الذات بنفسها وثقة الذوات الأخرى بها، فمن دونها تظل الذات

ضائعة في أدنى مراتبها" (ناصيف؛ن 2008، 134) فالذات العربية أحوجا ما تكون إلى العزيمة في نشاطاتها وأفعالها من أجل إثبات ذاتها على مستوى الفكر والواقع مجسدة ذلك من خلال الفعل مع المحافظة على خصوصيتها بين الذوات الإنسانية وكذا مشاركتها في البناء الكوني، إننا بحاجة إلى الإرادة باعتبارها قيمة نبيل تجرنا إلى ساحة الفعل عن طريق التفاعل والاستفادة من انجازات الآخرين والاقتداء بهم في النهوض بشعوبهم وحضارتهم فهي تملى الذات بروح التحدي والإصرار لبلوغ الأهداف.

2-الذات وفلسفة الطموح:

تحتاج الذات الإنسانية كأفراد أو جماعة إلى تجاوز حاضرها، وذلك رغبة منها في فتح وعوالم جديدة من المعرفة الكونية والإنسانية، عن طريق قيمة الطموح وأهميته في الحياة، ورغبتها في تحقيق مزيد من الفتوحات العلمية والثورات المعرفية، مما جعل ناصيف نصار شديد الاهتمام بملكة الطموح واعتبارها بمثابة الرغبة في صناعة الحياة لدى الأمم المتقدمة، التي تسود العالم في جميع الميادين الإنسانية والحضارية، حيث يؤكد ناصيف نصار على أن "الطموح أقوى المواقف والأشكال في مواجهة الكائن الذاتي للمستقبل، ولذلك ينبغي الاهتمام به بأعلى درجة من الجدية تقصيا لعلاقة الحاضر بما بعده" (ناصيف؛ن 2008، 542)إن الرهان على قيمة الطموح بالنسبة للذات العربية هو أحد الخصوصيات التي يفتقدها الفرد العربي، وسط العديد من العراقيل والعقبات، التي تكاد تحبس الأنفاس في كثير من الأحيان، وتجعل الرؤية المستقبلية أكثر ضبابية، على عكس ما نجده عند الكثير من الشعوب والحضارات من الأمل التي انطلقت بحرية وطموح نحو المستقبل، وهو ما نلمسه لدى الحضارة الغربية على حد قول نصار "أن الحضارة الحديثة منذ انطلاقها في القرنين السادس عشر والسابع عشر، حتى أيامنا تميزت عما قبلها من الحضارات الإنسانية بل ودفعت طموحها إلى أبعد مما تصوره سبينوزا أحد فلاسفتها المؤسسين حين حدد الطموح بأنه رغبة في المجد بل اعتدال" (ناصيف؛ن 2008، 542) توحي مظاهر الحضارة الغربية بأنها مشبعة بفلسفة الطموح، بل هو أحد أعمدتها ومرتكزاتها الأساسية، في عملية التنظير وإنتاج المعرفة، وما نلمسه من تفوق على الحضارات المجاورة يوحي بان المفكر الغربي أو الذات الغربية متحررة من قيود المعرفة ومن مركزية الذات على نفسها.

إن تحقيق هذه الطفرة في مستويات الحياة ومجالاتها، لم يسبق أن تحقق في الحضارات السابقة بهذا الشكل، ولهذا يجب أن يكون الطموح مرافقا دائما لتطلعات الإنسان والحضارات، التي تريد تجاوز ماضيها وحاضرها نحو مستقبل مشرق يقول ناصيف نصار" ففي اللحظة التي يأخذ الكائن

الذاتي تطلعه على محمل الجد، ويحوله إلى مشروع عملي، ويصمم على نقله من عالم المخيلة إلى عالم الواقع يتحول إلى كائن طموح، ويضع حاضره على خط التجاوز" (ناصيف؛ن 2008، 548) معنى ذلك أن فلسفة الطموح ليس مجازفة، أو رغبة في الاعتلاء دون هدف أو غاية، فالذات الطموحة ذات مبدعة، وتمتلك رؤية واثقة في تحقيق رغباتها، فلا يوجد هناك طموح خال من الإرادة والعمل، وإلا تحول ذلك إلى مجرد أماني :"فالكائن الطموح حريص على الوصول إلى هدفه، فلا يغامر حبا بالمغامرة، ولا يكافح لقتل الضجر، ولذلك لا يستهزأ بمعرفة الواقع كما هو لأنه يعلم أن الخطأ في معرفة الواقع له تأثير سلبي على تكوين طموحه ومساره كله" (ناصيف؛، ن 2008، 549)هكذا يصف ناصيف نصار الكائن الطموح بالواثق من هدفه فلا يغامر من أجل المغامرة، بل إنه كائن عاقل، ينطلق من واقع معين لتحقيق هدف معين، فالمعرفة بالواقع ومتطلباته وحدود المعرفة العلمية وشروطها يسهل عملية التعامل مع الظواهر، لتحقيق الأهداف الطموحة بشكل سهل ومباشر.

غير أن الذات الطموحة تحتاج إلى ثقة كبيرة، من دعم وفضاء حر، ولعل هذا ما تفتقر إليه ذواتنا فينعكس سلب على الإنتاج المعرفي، أو الإنتاج المادي، بشكل عام يقول ناصيف نصار:" ولكن مصداقية الطموح تكمن في الانجاز هنا في عالم الانجازات، هو إذن يتم الاعتراف الموضوعي بالطموحات ويجري تصنيفها وتقييمها والبناء عليها، الانجاز هو إذن المحك الفعلي للطموح والدليل الصادق على تجاوز الواقع القائم" (ناصيف؛ن 2008، 553) على هذا الأساس يحتاج الطموح إلى ترجمة فعلية في الواقع، من عالم التنظير إلى عالم التجسيد، فالطموح كما هو فلسفة فردية هو أيضا فلسفة جماعية، يشمل التفكير الجمعي أو النخبوي، بصفة مشتركة ضمن مشروع فكري أو نهضوي.

تعيد فلسفة الطموح بناء القيم بشكل عصري ومتجدد يتجاوز الرتابة بذلك " أن مسيرة التقدم لن تتوقف على عند الحد الذي بلغته حتى اليوم، ولن يتمكن جيل في المستقبل من أن يعلن وقوف مسيرة التقدم عند انجازاته ولذلك يتعين علينا أن نترجم القول بمحدودية الطموح، في مواجهة الكائن الذاتي حتى نقطع الطريق على الذين يستفيدون من هذا القول، كالسلفيين الرجعيين لكي يهاجموا الطموح ويحاصروه في أضيق مجال ممكن" (ناصيف؛ن 2008، 560) إننا بحاجة كأفراد ومجموعات للدفاع بعجلة الطموح وتربيتها في الأجيال القادمة عن طريق غرس القيم العليا، واحترام العقل البشري مهما كان انتماءه غربيا كان أم شرقيا، والكف عن الخطابات النهائية

واليأس في بيئتنا العربية وخاصة الخطابات الرجعية، من أجل الاتجاه بهذا الجيل صوب الرؤية العلمية والعقلية التي تقدم أكثر النتائج على مستوى الواقع المعاش .

رغم ذلك يحاول ناصيف نصار التطلع إلى فتح مجال الطموح العلمي الأصيل، كرؤية متأصلة في مجال المعرفة حين يقول "أن طموح العلم يتعدى هذا المستوى إلى ما يجعله ممكنا، ويزوده بالمادة المطلوبة، فالعلم في حركته الأصلية العامة هو الاكتشاف المنظم، ومن ثم الاكتشاف والاختراع " (ناصيف؛ن 2008، 564) أن هذا النوع من الطموح في جانبه العلمي يسجل غياب في حضارتنا العربية المعاصرة، لان طرق التفكير لا تزال تشتغل وفق الآليات القديمة في مواجهة الظواهر الكونية وتفسيرها بالإضافة إلى غياب الدعم التام من طرف السلطة في مساعدة الكشوف والأبحاث العلمية وهو الأمر الذي جعل الكثير من النخبة يفضلون بيئات أخرى غير بيئتهم المحلية لتجسيد أهدافهم ومشاريعهم العلمية بكل حرية واحترام.

3 - الذات والحرية :

عندما يتعلق الأمر بمطلب الحرية، يتسأل المرء عن حدود العوائق وحجمها، والغاية القصوى من طبيعة هذه القيود، فمن غير الممكن أن يسعى المرء إلى مطلب وهو يدرك حصوله دون عناء، إن المسألة تتلق بحق لا يمكن أن نتصور الإنسان مجرد عنه، فكيف انتقل هذا الحق الطبيعي إلى مطلب لدى الفرد العربي من أجل العيش بكرامة ؟.

لاشك أن سلب الحرية عن الكائن الإنساني هو إقصاء لملكة العقل عنده أو تعطيلها، هذا الشعور نلمسه أو يحيط بنا كلما حاول الفرد العربي أو المفكر اقتحام فضاءات السلطة والعدل والمساواة، فيجد نفسه محاط بمجوعة من القيود والعقبات فالحرية حسب نصار" مشروع لم يكتمل بعد، الحرية كفكرة والحرية كمبدأ والحرية كمذهب والحرية كحضارة" (مقورة، ج 2015 200)، على أساس هذه المراتب التي يضعها نصار في مستويات الحرية، لازلنا في مستوى الحرية كفكرة ولم نرتق بعد إلى دروب الفعل، فالحركة الثقافية العربية هي في مستوى الوصف أو مستوى الطلب، فهناك أشواط كبيرة أمام المثقف العربي من أجل فتح باب الحرية، والارتقاء بها مستوى الحضارة وهو ما أشار إليه الأستاذ جلول مقورة في معرض تحليليه لخطاب الحرية عند ناصيف نصار "فالحرية إذا يجب أن تتحول من مجال الفكر المحض إلى مجال الفكر العملي، من خلال النقاش والحوار فتصبح مجموعة من الآداب التي تميز ثقافة المجتمع وتدعمها مجموعة المؤسسات الإعلامية والتربوية والاقتصادية والسياسية، وهكذا يحتضن المجتمع مشروعه بأن تتحول الحرية إلى حضارة" (مقورة، ج 2015، 201) تحتاج الحرية الإنسانية إلى دعم كبير من خلال بعض

المؤسسات الاجتماعية، لتتحول إلى تربية أخلاقية وعملية، ولكن هذا التحول يكون بدعم من السلطة من غير التعالي عليه، بمعنى أن تتحرر السياسة من ممارسة القمع أو رسم مسار خاص به، فدعم الحريات يجب أن يكون عاما ومطلقا، دون قيد أو شرط وهو ما قد يتعارض مع الاتجاه السياسي أو السلطة السياسية الأمر الذي يؤذي إلى صراع بين مبدأ الحرية والسلطة، حيث يرى ناصيف نصار: "إن ممارسة الحرية أصعب من ممارسة نقائضها وأضدادها، والوعد بالوصول إليها بواسطة طرق غير طرقها، إنما هو تسويف وتمويه أو استغلال للجدلية الاجتماعية، التي لا تنفصل ممارسة الحرية عنها، وما يصح على الحرية بوجه عام، يصح على الحرية الفكرية بوجه خاص وعلى الحرية الدينية بوجه أخص" (نصار، ن 1986، 176) إن مسألة تحرير الذات العربية أو ممارستها للحرية بشكل عام، أمر له من الخصوصية والمجازفة ما يجعل البقاء في أضدادها أيسر من ممارستها، لان الحرية ترفض في ذاتها أن تكون هبة أو تفضل من أي جهة، مهما كانت فتستغل هذه الجهة توجيهه مسار الحرية بشكل يخيل إلى الناس مشروعيتها، وهي على العكس من ذلك، فكلما اتسع فضاء الحريات الفكرية تقلص مبدأ التسلط والقهر وإظهار عيوب السلطة، ولهذا تبدو السلطة هي الجهة المانحة للحريات من أجل أن يصبح العقل الفكري في خدمتها، وليس في خدمة الفرد والمجتمع يقول نصار" هذا يعني أن سبيل الحرية مليء بالنزعات وآلا لم، النزاعات بين مستوى الحرية أو أنواعها فضلا عن النزاعات بينها وبين أعدائها وخصومها وآلام الناتجة من تلك النزاعات وما تحمل من عبء الحرية كشرط للالتزام وتكوين عالم الإنسان" (نصار، ن 1986، 176) إذن يجب آلا تكون الحرية أو التحرر دفعة واحد في علاقتها بالسلطة وإنما هي سعي متواصل وتضحية من أجل تكريسها كمبدأ وجودي ومعطى طبيعي، ولهذا يجب أن يترسخ هذا المبدأ في الأجيال العربية الناشئة كحق من حقوقها، فتنشئ الذات العربية نشأة سوية يستطيع من خلالها الفرد العربي أن يبدع ويمارس حقوقه كغيره من شعوب العالم.

إن فلسفة الحرية رغم أهميتها في الحياة البشرية ولكنها تحتاج إلى ضوابط ومراسيم، فقد تتحول إلى تعدي على القوانين والخصوصيات العامة أو الفردية، وهو ما ينبه إليه نصار على أن "فلسفة الحرية فلسفة بديئة فهي تنبني على المبدأ القائل بأن الوجود الإنساني ينبثق من الحرية، ولكنها تقضي على نفسها إذا أعلنت الحرية مبدأ وحيد ومطلقا للوجود الإنساني، الحرية مفتاح أو شرط عالم الإنسان ولكن هذا العالم قائم على ركائز وقوانين لا تستطيع الحرية تجاوزها" (نصار، ن 1986، 182)رغم المكانة التي تحظى بها الحرية في حياة الإنسان إلى درجة أنها مقترنة بوجوده ولكنها ليست قيمة مطلقة من ناحية الفعل، فهناك عوارض لا يمكن للحرية أن تخترقها، فهي تتصادم

مع حريات أخرى إما أن تكون أكثر تحرر منها أو أقل تحرر منها وبالتالي ينشب صدام بين الحريات، فالحرية لها صفة المسؤولية أكثر من صفة المطلقة، لأن الحرية المسؤولة هي حرية منتجة على مستوى الفعل في ميدان العلم والفكر والنهوض بالأمم.

إنما يدفعنا إلى التمسك بمطلب الحرية هو الوصول إلى أعلى مستويات الحرية كحضارة ولكن عندما تصبح الحرية جزء من ثقافة المجتمعات العربية بالمعنى المعرفي والقيمي للمفهوم وتجسيده على أرض الواقع، يتجلى ذلك من خلال احترام النزعات والانتماءات والأطياف المشكلة للمجتمع بحكم رابطة الوطن والانتماء وقد اتجه نصّار ناحية المفهوم الليبرالي للحرية باعتبار أن الليبرالية وجه أخر للحرية "هكذا تؤكد الليبرالية ذاتها عبر مسالك الخصوصية والكونية ولا ترتاح إلى ذاتها ارتياح المحارب المنتصر إلا بعد استتباب الأمر لحياة الحرية عند جميع المجتمعات" (مقورة، 2015، 205) تؤكد الليبرالية أن أحد أعمدتها البارزة هي شيوع الحريات في المجتمعات والأفراد على المستوى الواقعي والعملي وهو ما عبر عنه العديد من المفكرين العرب حول النموذج الليبرالي في تحرير الإنسان من قيود التسلط.

4 - الذات العربية والهاجس النهضوي :

لقد استلهم ناصيف نصار فكرة النهضة العربية الثانية من البعد التاريخي والسياسي بين سوريا ولبنان، كتاريخ كبير من العلاقات بين البلدين كمنظومة مكتملة المستويات، غير أن هذه العلاقة هي بالنسبة لفكرة النهضة العربية الثانية التي يسعى نصّار إلى إرساء قواعدها هي المستوى الظاهري للفكرة فقط.

أما الأسس والمبادئ والحاجة الملحة لذلك فهي مطلب ثقافي وحضاري يسعى إليه أغلب المفكرين والفلاسفة العرب، فما المقصود بالنهضة العربية الثانية؟ وما طبيعتها وهل هناك علاقة بينها وبين النهضة الفكرية السابقة؟.

تتجلى لنا ملامحها من خلال التصور الأولي في عرضه للنص الأتي بأنها" الحركة الشاملة الهادفة إلى إعادة بناء وتحقيق مشروع الحداثة في العالم العربي وذلك عن طريق استئناف نقدي وتجاوز إبداعي للنهضة العربية الأولى التي امتدت من أوائل القرن التاسع عشر حتى أواسط القرن العشرين، في منظور حضاري يستوعب دروس ما حدث بعد تلك النهضة من ثورات وتحولات ومكتسبات وهزائم وتراجعات وإخفاقات ومن تطور في ظاهرة العولمة، أنها حركة شاملة بمعنى أنها اقتصادية وثقافية وسياسية" (ناصيف، ن 2011، 237) من هنا يمكننا أن نلمح التصور العام للمقصود بالنهضة العربية الثانية، بأنها نهضة عربية تتموقع في التاريخ المعاصر ومكملة لمسار النهوض والإبداع التي قامت به النهضة العربية الأولى، ويعتبرها ناصيف نصار بمثابة الانطلاقة الحضارية الشاملة في المجالات (الثقافية، السياسية، والاقتصادية،)وهنا تسمح لنا هذه المبادرة الفكرية، دراسة الإخفاقات والعقبات التي واجهة النهضة العربية الأولى، ونسبة

الأمل في تجاوز أخطاءها لتحقيق النهوض مرة ثانية، وهو ما أشاد به برهان غليون معبرا عن ذلك: "اليوم وفي كل مرة تتجلى فيها للعرب الأبعاد التاريخية والعالمية لهذه الأزمة في موضوع الثقافة، ذلك أن كل نقد للتجربة الماضية وكل تأسيس لمشروع مستقبلي لابد أن يناقش الأسس والمبادئ أي المفاهيم العقلية التي توجه العمل وتبلور معالم المبادرة والممارسة" (غليون، ب 2006، 19)، فهذا المسعى يمثل هاجس لدى معظم مثقفي الفكر العربي المعاصر، أننا أمام أزمة ثقافية وجب الإسراع في البحث عن الآليات والسبل للخروج من حالة التأزم، وذلك عن طريق دراسة العقبات التاريخية والسياسية التي تأتي في مقدمة الأزمة والانتقال إلى مشروع الدولة الوطنية المنفتحة، على العلاقات السياسية المبنية على التعاون حيث يعتبر ناصيف نصار: "المسألة هنا هي مسألة ارتفاع التعاون من مستوى المصالح من دون اختزال في شأنها ومن مستوى المذاهب العقائدية ومواقعها في أنظمة الحكم إلى مستوى توجيهي، منطلق العمل فيه هو منظومة القيم الإنسانية التي لها وزن حاسم في التقدم الحضاري للبشرية من خلال تأثيرها في كافة المؤسسات الاجتماعية" (ناصيف، 2011، 237) أذن فقانون بناء الدول ليس كبناء الأفراد، فإذا كان كل فرد يتمتع بحريته وعقيدته فان الوطن يمثل انتماءً للجميع، وهنا نحن أمام مساواة بحق هذا الانتماء، الذي يمثل فيه العمل والكفاءة المعيار الحقيقي للأفضلية النسبية، في مجالات معينة بين أفراده ومواطنيه، فالمسعى هو مسعى إنساني مدني وليس عقائدي أو عرقي.

إن ممارسة النقد الذاتي هو عملية التركيز على الذات، بدل من جلدها أو نقدها، أو إلقاء المسؤولية على الآخرين فالسعي إلى النهوض أصبح مطلبا على جميع الميادين الفكرية وهو انبعاث بصورة أكثر شمولية وواقعية ف "ليست نهضة العالم العربي انبعاثا للعصور الوسطى العربية الإسلامية، وليست مجرد نتيجة للاحتكاك مع الحضارة الغربية الحديثة، إن نهضة العالم العربي تعتبر دخول العالم العربي بعد مرحلة طويلة من الجمود في مرحلة تاريخية جديدة أي مرحلة تتمتع بطابع عالمي **فاوستي** لم يسبق له مثيل في تاريخ الحضارات" (نصار، ن 1986، 12) هكذا يرسم ناصيف نصار اللبنات الأساسية لمشروعه النهضوي الثاني، الذي يعتقد أنه مشروع مخالف لما سبقه من المشاريع النهضوية، هذا الاختلاف فرضته الظروف التاريخية الراهنة، يكون أساسه التبادل الحر بين الحضارتين والتعامل مع تاريخنا القديم بقراءته قراءة نقدية بصورة معاصرة أكثر واقعية وعقلانية، فلا يمكننا أن نجاري الغرب ونحذو حذوه في التقدم لان طبيعة الآليات المستعملة في ذلك مختلفة تماما وكونها ممكنة الحصول ولا تخرج عن الطابع الإنساني وجب الاستفادة منها واستغلال مناهجها وطرق المعرفة لديها "أما النهضة العربية الحديثة والمعاصرة فإنها تبحث عن نظرة إلى العالم تخرج من إبداعها الذاتي ولذلك فان الفكر الفلسفي فيها يحاول أن يعثر على العناصر الضرورية لتكوين تلك النظرة الجديدة، أو أن يكشف عنها" (نصار، ن 1986، 13)، يركز ناصيف نصار على البعد الفلسفي ودوره في انبعاث النهضة العربية الثانية، فالسؤال الفلسفي ليس أقل

أهمية عن العقل الفلسفي في ممارسة النقد وامتلاك القدرة والتنظير الواسع والانفتاح المعرفي الشامل في الأبعاد الحضارية والثقافية وتجاوز الانغلاق على الذات.

إن حركة التاريخ تستوجب تجديد في المفاهيم وطرق إنتاج المعرفة واحتواءها والوصول إليها بدل التمركز داخل أسوار العصر الوسيط، إن بناء المستقبل ينطلق من الراهن وإمكانياته، وليس من الماض، فالعقل الفلسفي له ميزة التفكير الوجودي والإنساني الشامل، دون أن يلغي واقعه الزماني والمكاني لتشكيل صورة وهوية عن نهضته، إن مسعى ناصيف نصار هو تكوين نظرة موضوعية ومتكاملة للخروج من حالة التأزم، حيث يجد **ادونيس العكرة** هذه النظرة تحمل الكثير من الأمل" أن المقاربة التي يقدمها ناصيف نصار مقاربة جادة تنم عن عقل منفتح ومتبصر لواقع مريض يئن تحت خطاه الاستعمار الثقافي وتفكيك البنية الحضارية نتيجة فقدان الثقة في كل المحاولات التي قامت للخروج من الأزمة، أزمة لا يمكن فهم العناصر المكونة لها إلا باعتماد منهج قادرا على مساءلة البناء في كليته دون إقصاء أي جانب" (زروخي، ش 2013، 143) توحي هذه المقاربة عن عمق كبير في الأزمة الفكرية العربية التي نعانيها في مجتمعاتنا العربية نتيجة، تفكيك المكونات الثقافية واليأس الذي يتسلل للنفوس نتيجة المحاولات المتكررة من دون جدوى وهنا نجد ناصيف نصار يطرح رؤية واضحة وشاملة بنظرة عقلانية للخروج من التردد مرتكز على عناصر أساسية أهمها:

1- إن إعادة مشروع النهضة العربية يعتمد النظر إلى أهداف النهضة والتعامل معها كمنظومة مترابطة العناصر.
2- النهضة تكون شمولية الطابع أو لا تكون بمعنى أنه يستحيل فصل النهوض الاقتصادي عن النهوض السياسي والنهوض السياسي عن النهوض الثقافي والنهوض القطري بحيث أن مسألة الأولوية لا تعدو مسألة نظرية بل مسألة عملية.

تبدو هذه العناصر في أساسها تتجاوز الحيز الإيديولوجي فهي ليست خاصة بأمة دون سواها أو حكر على شعوب دون أخرى لان التقدم الحضاري يقوم في أساسه على التعدد والاختلاف في شتى الميادين إذا كان يشترك في وحدة الهدف، إنما تمثله العلاقة بين سوريا ولبنان كنموذج متقارب في العلاقة على أكثر من صعيد قد يمثل دور الطليعة في المسار العام للنهضة العربية الثانية على حد قول نصّار، فالتقدم الحضاري ليس حكرا على الحضارة الغربية وحدها.

إن مساعي النهضة العربية الثانية قامت في أساسها الأولى على محاربة الاستعمار كظاهرة قمعية واستدمارية، وقد تحقق معظمه في البلدان العربية إلا أن "معركة الحرية والتحرر لم تنته، الاستقلال الشكلي ليس سوى نجاح تمهيدي، إذ أن المعركة الحقيقية هي في المضمون أي في الممارسة الفعلية للحرية بأبعادها المتعددة على مستوى الشعب، وعلى مستوى أفرده" (ناصيف، ن 2011، 239)، فالحرية هي الوعاء الذي يحمل مشروع النهضة العربية الثانية كمطلب متجدد ومرافق للنهوض في جميع المجالات، وهي

أحد العناصر المفقودة في مجتمعاتنا العربية التي تعاني أغلبها من جور السلطة وانفرادها بهذه الخاصية وممارستها بطرق ملتوية وتفاضلية، حيث يعتبر الفرد العربي ضمن الشعوب المهضومة الحرية .

ولأنها شرط أساسي للمشاركة الايجابية في البناء الحضاري النهضوي يسعى نصار إلى تكريسها وعدالتها في المجتمع وأفراده ضمن الشروط التي يقيم عليها مشروعه النهضوي الثاني وهي كالأتي:

1-**الحرية** :باعتبارها جزء لا يتجزأ من كيان الإنسان وكرامته وشرطا للمشاركة الايجابية في حضارة العولمة من حيث هي حضارة الحرية، فالحرية هي مركز الثقة والدافع الحيوي للأفراد والجماعات داخل أوطانهم وخارجها، فالانتماء الوطني يكفل للأفراد الحق في ممارسة الحرية من الناحية (السياسية، والدينية، والاقتصادية)فالفرد العربي في سعي متواصل لتحقيق هذا المطلب من أجل كرامته أولا، ثم من أجل تحقيق أهدافه في الحياة وهو مطلب يركز عليه ناصيف نصار لما له من أهمية ."أن إعادة بناء حقل الحرية بكامل عناصره وجوانبه يستوجب إعادة بناء حقل السلطة بكامل مكوناته فالحرية ليست المبدأ الوحيد الذي ينهض عليه كيان الإنسان الاجتماعي وأول ما ينبغي رفعه من أجل السير بثقة في دروبها المتشعبة هو التناقض بينها وبين السلطة إذ يتعين على الحرية أن تحترم السلطة وعلى السلطة أن تحترم الحرية" (ناصيف، ن 2011 241)، فمن غير الممكن بناء نهضة عربية ثانية ما لم نعد رسم العلاقة بين السلطة والحرية، وفق شرطية الاعتراف والاحترام، فالمثقف العربي في الغالب ما يشعر بالقيود التي تحيط به من جميع الجوانب، فالسلطة لا تكتفي بأحقيتها في الأمر على حد تعبير ناصيف نصار بل تمارس نوع من التسلط على وجه الإلزام يعيق صور المبادرة والإبداع وهو ما يتنافى وحقوق المواطنة "فالحرية الاجتماعية هي بالضبط هذه القدرة الاجتماعية على الالتزام تجاه الأخر أو مع الأخر والعزم على الوفاء بمضمون ما تحدد الالتزام به، فمن العدل أن يوضع في المجتمع السياسي إطار عام يتحرك الأفراد ضمنه لكي يمارسوا حقوقهم المتساوية في الحرية، ولكي يقيموا ما يحلو لهم من التزامات متبادلة " (ناصيف، ن، 1995، 272)، فمنطق الحرية التي تساهم في البناء النهضوي هي الحرية المسؤولة بمعنى حرية الالتزام بين المواطنين والسلطة.

أن النتائج التي يمكن أن تتحقق بفعل التحرر يمكن أن يكون لها أثر بالغ في صناعة الفرد العربي داخل مجتمعه من خلال مشاركته الفعالة والايجابية التي تبرز في الآثار الفكرية أو العملية التي يقدمها، لهذا تمتلك السلطة السياسية أحقية الإشراف على ممارسة الحريات والحفاظ عليها من كل أشكال القمع والترهيب.

2 -**العدل:** يشكل مفهوم العدل وشروطه لبنية أساسية في عملية البناء النهضوي والحضاري، لدى ناصيف نصار ويعتبره في مقام الميزان الذي ينصف بين الأفراد في مجتمعاتنا العربية مهما تعددت إيديولوجياتهم المعرفية وأجناسهم العرقية، فيكون العدل بمثابة قانون التوازن في المجتمع يقول ناصيف نصار" فكما أن الجسم يحافظ على سلامته بالرجوع إلى القانون الطبيعي المتمثل في الصحة، كذلك

يحافظ المجتمع على سلامته بالرجوع إلى القانون الأخلاقي المتمثل في العدل بقدر ما هو منوط بالتقدم في تحقيق مبدأ الحرية" (ناصيف، ن، 2011، 242) إننا من خلال هذا النص مدعون إلى التساؤل عن شرطية العدل وإمكانية الظروف التي يتحقق معها: فما طبيعة العدل التي يسعى نصّار إلى تحقيقها؟ إن مطلب العدالة الاجتماعية هو مطلب لا يخلو منه دستور أو قانون اجتماعي، يمكن معه تحقيق الروابط الثقافية والدينية والسياسية في أي بلد، فلا يمكن للمجتمع أن يتماسك أفراده في غياب العدل إذا كان المطلوب منهم المساهمة جميعا في بناء الدولة ونهوضها الحضاري والفكري، فمسألة العدل واسعة ومتشعبة، وتختلف من مستوى إلى أخر، فالعدل بين الدول كمنظومة كونية غير العدل بين الأفراد داخل الدول، والعدل كناموس كوني أو دستور موضوعي يختلف عن العدل كممارسة واقعية، كل هذه الإشكالات يجب مراعاتها وتوفرها في تحليلنا لقضية العدل فعلى أساسها قامت حضارات وهدمت أخرى "إنه من الطبيعي عندما تثار مشكلة العدل في الدولة أن يتوجه الانتباه فورا إلى الحقوق والواجبات، التي تقوم بين الأفراد والجماعات في الدولة والى دور الدولة في تحديد هذه الحقوق والوجبات وحمايتها" (ناصيف، ن 1995، 153)، فعندما يشعر المواطن بعدالة الدولة، وممارسة حقوقه بكل حرية فإن العلاقة بين الأفراد والسلطة تكون علاقة منتجة، ويمكن توجيهها من طرف الدولة للمساهمة في البناء والإنتاج، أما بمجرد اختلال ميزان العدالة يمكن أن تتحول الدولة إلى إقطاع، فلا بد لمبدأ العدل أن يصان داخل كيان الدولة ومراسيمها وذلك يتطلب لدى نصار شروط ثلاثة وهي :

1-احترام سلطة الدولة وحق المعارضة

2-الحصول على تفويض صحيح وصريح من المجتمع

3-تحمل المسؤولية وتأدية الحساب

من خلال هذه الشروط تتضح صور الطابع السياسي وأهميته في بناء الدولة ومكوناتها الأساسية، فالعلاقة بين الحاكم والمحكوم تقتضي الثقة مع ضمان أحقية الرأي والمعارضة السياسية، بما في ذلك التداول على السلطة بكل ديمقراطية وشفافية بعيد عن استعمال الدين أو الإيديولوجية في التمسك بالسلطة والانفراد بها وهو ما جعل ناصيف نصار يقف موقف النقد من الدساتير والقوانين التي تخفق في تحقيق العدالة الاجتماعية ويعود الأمر في نظره إلى " مسألة المرجعية ورفع التناقض بين الحرية والمساواة والى تأسيس التوازن بين الحقوق والواجبات" (ناصيف، ن 2011، 242)بهذا المعنى يرفض نصّار المرجعيات الإيديولوجية في قيام الدول، ويدعم المرجعية العقلانية والفلسفية على حساب المرجعية النصية أو العقائدية خاصة في ما يتعلق بمواد الدستور في الدولة المدنية وهو بذلك يدعم الميثاق العالمي والإنساني لحقوق المواطن وذلك تحقيقا للنظرة العقلانية والكونية لتحقيق العدالة الاجتماعية فالنهضة الاجتماعية تتأسس على دستور مدني يشكل مسافة واحدة بين أفراد المجتمع ولعل ابرز المشاكل التي يعانيها العالم العربي في قضية العدالة الاجتماعية هي :

1- تردد الشعوب العربية في نظرتها إلى العدل، بين المرجعية الدينية (الإسلامية تحديدا) وبين المرجعية الدنيوية العقلانية، بصورة عامة، هذا النوع من الجمع بينهما لم يقدم نتائج ايجابية، في واقع المنظومة القانونية العربية، وهو ما يجعل السلطة المستفيد الأكبر من حالة الجمع بينهما، مستغلة العاطفة الدينية للحفاظ على مكاسبها، إذن بهذا لا يمكن أن تستقيم منظومة العدل إلا إذا اختارت طريق العقل.

2-يسود اعتقاد بين التأويلات المعاصرة للعدل أن مفهوم العدل وبخاصة العدالة الاجتماعي يستمد قوته من انحيازه إلى المساواة في مقابل الحرية، قد يكون هذا القانون على قدر من الصحة إلى حد كبير، غير أن منظومة العدل لا تقوم على الحرية المطلقة فينتج عنها تطرف في التنافس والاستغلال الحرمان للطبقة الضعيفة فالسلطة لها مهمة ضمان الحرية والإشراف عليها فمن ارقي أنواع الحريات العدالة في الحريات ومحاربة كل أنواع الظلم.

3-التوازن بين الحقوق والواجبات فهذا شرط مسلم به في فلسفة العدل إجمالا فلاميكن أن تستقيم المجتمعات تحت منظومة معينة إلا إذا كانت ترعى مصالحهم وتضمن حقوقهم من هنا يعتبر نصّار أهمية العدل في بناء الحضارة المعاصرة وهي مسألة على قدر من الأهمية في بيئتنا العربية حيث يمكننا أن نساير المنظومة العالمية من ناحية الحقوق للارتقاء بمفهوم المواطنة إلى أرقي مستوياته الفعلية.

3-الفلسفة والنهضة العربية الثانية :

تعد من بين المرتكزات الأساسية في قيام نهضة فكرية حضارية في العالم العربي، حضور الرؤية الفلسفية حيث تمكننا من طرح الاشكالات الكبيرة، وصياغة المفاهيم المعاصرة، ولهذا يحرص نصّار على أهمية السؤال الفلسفي، في بناء نهضة شاملة في جميع الميادين، مع القدر على نقد التصورات القديمة والمتناقضة و"لذا نجد المسألة الأولى في قضية الحداثة الفلسفية في بناء الثقافة العربية الراهنة بكيفية انتزاع حقوق التفلسف الحر، من السلطات الدينية والسياسية التي تكره بطبيعتها نور الفلسفة، وعلى الأخص عندما يتعلق الأمر بمشكلة العمل والنظام الاجتماعي السياسي القائم" (ناصيف، ن 1997، 139)، تمتلك الفلسفة القدرة على تعرية المفاهيم السياسية المخادعة، وتفكيك العلاقة بين المصلحة السياسية والدينية عن طريق نقد الخطاب العام، غير أن هذا المسعى لن يجد الطريق سهلا في البيئة العربية، فالوجه العام للثقافة العربية تسيطر عليه النظرة الدينية .

إن الهدف الأساسي من اكتساب –**لحظة الوعي الفلسفي لدى الذات العربية** _ هو شرعنة الحق الفلسفي العربي، في صياغة خطاب إنساني للخروج من دائرة الخطابات المنغلقة، يهدف إلى تفكير نهضوي عن طريق الوعي الفلسفي بالواقع الراهن، وما يطرحه من أسئلة عديدة حول واقع الأزمة العربية، بداية بتحقيق الوجود الإنساني العربي، الذي يظل غائب عن المشاركة في صناعة التاريخ، أو المشاركة فيه، وكذا إعادة النظر في قيم الحرية والعدالة والمساواة، كما اشرنا إلى ذلك من قبل، وعلاقة الفرد بالسلطة وعليه "إننا نريد أن ندخل في المجال المطلوب انطلاقا من استعداد أو نزوع الثقافة العربية الحية إلى الفكر

الفلسفي، ولسنا نريد تطعيم تلك الثقافة من الخارج بنوع معين من الفكر الفلسفي لذلك يتوجب علينا تعيين الإنتاج الثقافي الذي عبرت فيه الثقافة العربية الحديثة أحسن تعبير عن استعدادها أو نزوعها إلى الفلسفة" (ناصيف، ن، 1977، 40) يريد نصّار أن يصنع فلسفة مستقلة من داخل واقعنا العربي دون الحاجة إلى استراد فلسفة لحل أزماتنا، إنه بهذا يريد تعقل خطاباتنا ومشكلاتنا الاجتماعية، عن طريق تفكيك العقبات التاريخية، خاصة مع هذه اليقظة الفكرية، التي أصبحت تتجاوب مع الخطاب الفلسفي إلى حد ما والاعتراف به إن "هذا التصور الأساسي للوضعية الحضارية في العالم العربي الحديث والمعاصر يقود الفيلسوف إلى التحرر من كابوس تاريخ الفلسفة والى الوقوف منه موقف الاستقلال بدل من موقف الإتباع" (ناصيف، 1977، 27)، هذه ليست دعوة نصّار إلى الفردانية المغلقة ولكنها صناعة موقف أصيل نابع من إرادتنا العربية كذات مفكرة ومستقلة عن الأخر تريد رسم واقعها وآفاقه لان الانفتاح على الأخر ضرورة فلسفية من أجل حوار كوني منتج ومنه يرى نصّار "أن الفلسفة من حيث هي نظرة إلى العالم أو من حيث هي طريقة تفكير وعمل تتفتح وتنمو في إطار علاقات وثيقة مع التجربة الدينية أو مع العلم أو مع مشكلات الحياة الاجتماعية والسياسية أما الفكر الفلسفي في العالم العربي المعاصر فإنه لم يتوصل بعد إلى توكيد استقلاليته وحريته اتجاه تاريخ الفلسفة مما يعني أنه لا يتغذى علانية وبحرية من المعطيات المباشرة للتاريخ الحي للثقافة العربية وللشعوب العربية " (نصار، ن 1986، 16)، هذه المقولة أو الموقف يلخص فيه ناصيف نصار وضعية الفلسفة عموما في العالم الغربي وانفتاحها على النص الديني أو السياسي أو الاقتصادي في ومساهمتها في بناء الحضارة الغربية ولهذا يبدو للفلسفة أهمية كبيرة، بينما نجد على العكس من ذلك في البيئة العربية، أن الفلسفة بعيدة عن حقول إنتاج المعرفة الأمر الذي أدرك أهميته ناصيف نصار في عملية النهوض الفكري والحضاري للأمة العربية هو الحضور الفلسفي بمعنى الحضور العقلي الواعي الذي يمتلك القدرة على النقد والبناء.

خـاتمة:

يتحقق وعينا من يقظة الذات العربية واستيعابه للمصير الذي يمكن تحقيقه من خلال الرؤية الفلسفية عن طريق بناء منظومة مفاهيمية فلسفية عربية تحاكي ما تحقق للأخر عبر شروط الانفتاح والحرية وقراءة الراهن وفق معطياته الحالية إنما نتوصل إليه من خلال هذا البحث يمكننا من

- إحياء روح البحث والسؤال الفلسفي وفق مشكلات الواقع والراهن، فالسعي إلى إيجاد منظومة فكرية وعقلانية يحقق تراكمات معرفية يمكننا أن نبني من خلالها رؤية فلسفية عربية معاصرة.
- يكننا تجاوز العوائق والعقبات عن طريق العودة إلى الذات أولا عن طريق النقد وليس الجلد فممارسة النقد تضمن تطوير للمناهج والمنظومات بدل من استردادها من الأخر دون مراعاة لشروطها.

- مطلب الحرية هو وجه أخر للنهضة العقلية أو الفلسفية يسعى المثقف إلى تحقيقه كلما حاولت السلطة السياسية فرض إيديولوجيتها في وجه الفكر الحر.
- يمكننا من خلال فلسفة الطموح تجاوز الأنساق المغلقة التي تحبس الإبداع الفلسفي العربي عن صناعة كيانه وتجاوز الانهزامية التي صنعتها الأصنام القديمة
- يمثل الحضور الفلسفي العربي ضرورة لا يمكننا الاستغناء عنها أذا أردنا بعث هوية فكرية وعربية محضة من خلال الاستقلال الفلسفي.
- يشكل تجاوز الغياب عن الفاعلية أو المشاركة في صناعة التاريخ الحضاري أهمية بالغة في رسم معالم الطريق نحو إثبات الذات العربية وأحقيتها في التواصل مع الذوات الإنسانية.

إن تحقق وعي الذات العربية بالفعل الفلسفي، كمطلب يرسم معالمه فينا، من خلال التراكم المعرفي، الذي يتحقق عن طريق معالجة المشكلات الواقعية، التي يتصدى لها بالتحليل والمناقشة، مفكري النهضة العربية المعاصرة وفق رهانات الواقع ومتطلباته، هو ما دافع عنه نصار، حول إمكانية الاستقلال الفلسفي لبناء الذات العربية من الداخل، والبحث عن حلولها بنفسها، وذلك لإثبات أحقية الفيلسوف العربي في امتلاك القدرة عن تقديم حلول وإجابات لمشكلاته وأزماته الفكرية والاجتماعية عن طريق النقد والمجاوزة.

****

قائمة المصادروالمراجع:

- الشريف زروخي؛ (2013). *العقلانية والتنويرفي الفكر العربي المعاصر قراءة في مشروع ناصيف نصار* . ط1، بغداد العراق: دار عدنان لطباعة والنشر.
- برهان غليون؛ (2006). *اغتيال العقل محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية*. ط4، الدار البيضاء المغرب : المركز الثقافي العربي.
- بلقزيز عبد الإله وأخ؛. (2009). *ناصيف نصار من الاستقلال الفلسفي الى فلسفة الحضور*. ط1، بيروت، لبنان: مركز درسات الوحدة العربية.
- جلول مقورة. (2015). *فلسفة التواصل، بين طه عبد الرحمن وناصيف نصاربين القومية والكونية* . ط1 لبنان بيروت: مركزدراسات الوحدة العربية.
- محمد نور الدين أفاية. (2014). *في النقد الفلسفي المعاصر مصادره الغربية وتجلياته العربية*. ط1، بيروت لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية .
- موريس إبراهيم؛ ماجد. (1999). *سيكولوجيا القهر والابداع* . ط1، بيروت، لبنان: دار الفارابي.
- ناصيف نصار. (1986). *مطرحات في العقل الملتزم في بعض مشكلات السياسة والدين والايديولوجية*. ط1، بيروت، لبنان : دار الطليعة .
- نصار ناصيف. (2011). *الإشارات والمسالك من ايوان بين رشد الى رحاب العلمانية*. ط1 بيروت، لبنان: دار الطليعة.
- نصار ناصيف. (1997). *الفلسفة في معركة الايديولوجية*. ط2، لبنان بيروت: دار الطليعة.
- نصار ناصيف. (1977). *طريق الاستقلال الفلسفي سبيل الفكر العربي للحرية والابداع الفليسفي*. ط3 بيروت، لبنان: دار الطليعة .
- نصار ناصيف. (1995). *منطق السلطة مدخل الى فلسفة الامر* . ط1، بيروت لنان: دار الامواج.
- نصار ناصيف؛. (2008). *الذات والحضور بحث في مبادئ الوجود التاريخي*. ط1، بيروت لبنان: دار الطليعة.